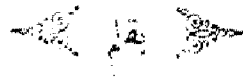


الليالي العشرة

عظات وحقائق في خيال

—:0:—



يوسف بن

—:0:—



عودت يا قلمي بياناً صادقاً
ما عابه ان لست اول من صدق
يكفي من التوفيق انك كاتب
وحي الضمير الى اللسان على الورق
يوسف حمدي يكن

مقدمة الكتاب

بخط المؤلف

في الآراء الصعبة ، من كتبنا هدية ، عدد كثير ، من ما نلزمه
فأنقصه ، ومنه ما طالعنا فأنقصه ، ولقد ألفت كتابنا الحقبة نادرة ،
والحاجة إليه شديدة ، فوددنا أن يكون له أثر ، يرضى الناقد به على الأهل
، فنشرت في العام الماضي على صحائف نظمهم بدو كتابه [رقعة على أراء القلوب]
الحمد لله ، نال الكتاب تقدير الكثر به من فضل بعض ، وشيئنا ما يدره
به رداء الرضا ، فطبعه ، ولما رأيت انصاف الأدب والفكر بفضله
عليه ، نرنت بحمد الله مرة ، فكتب [بسلامة بعض] ، لقد مات من شاء
الدمبار وتقد برهم نوره ما بين ، هذا من فضل رب ، ولقد طبعنا
هذا المسألة لأمرنا لانه مجال العقل ، وسأنتربد وازالة ،
سأرفقه في خزاني رأينا ، نذكره ، والله التوفيق

برفقة محمد بن محمد

تعليق المقطم

على « الليالي العشر »

تفضل حضرات العلماء الأجلاء أصحاب « المقطم » الاغرة ،
بالتعليق على هذا الكتاب ، بعد ختام نشره بالتتابع في جريدتهم
النافعة . واني اثبت هذا التعليق اقراراً بفضلهم ، مكرراً لحضراتهم
شكري العظيم

قال المقطم

انتهت الليالي العشر بهذه الرسالة ، فكانت من خير ما كتب في
باب العظات والارشاد المفرغ في قالب الرواية والحكاية علاوة على
ما امتازت به من بلاغة الانشاء ودقة التعبير وسلامة الذوق وحسن
البيان وهي صفات لازمت ما يسيل به قلم كاتبها فيما ينشئه نثراً ونظماً كما
لازمت ثمار قريحة المأسوف عليه شقيقه ولي الدين بك يكن من قبله
وقد كتب الينا غير واحد من القراء متمنين على يوسف بك ان
يواصل هذه الليالي او ما يماثلها لما فيها من النفع الجزيل لقراءها المعجبين
بما حوت من حكم وعبر والمفرمين بالانشاء المتين واسلوب البيان الساحر
فنحن ننشر امينهم هذه تاركين له الحكم في معاملتها وظننا انه سيلبي
الطلب ويواصل برسائله خدمة الانسانية ونصرة الأدب

الليالى العشر

— ١ —

(عبر للمعتبر)

دخلت كعادتي الى مكتبي ، في الساعة التاسعة من الليل ، أنرت
المكان وفتحت النوافذ ، السكون شامل ، ما اطيب هذا السكون
ياحلوان ، هممت بأن اطالع ، كتي حولي مبعثرة ، الست شرقياً ،
مددت يدي بلا تأخير ، ما هذا ، مقدمة ابن خلدون ، قرأت اسطراً
وطويت الكتاب ، ادركني ملل لم اعرف باعته ، ثم لحقت بي
كتائب من شجوني ، طال معها عراكي فقمتم امشي في الغرفة ، اريد
ان اكون المتكلم فأين المخاطب ، اطلت من نافذة ، نظرت الى
السما ، النيرات تستسر وتلوح ، كأنها الآمال ، كيف لا اتكلم ،
ما انا بأول من سامر النجوم ، يا نواظر الفلك : غضي الجفون عما
نحن فيه ، حسنات تعد ومساوىء لا تحصى ، من لنا بليل أقم ،
لا يعقبه الا نظيره ، فلا ينبجج صبح ينحجل منا اهل الحياء ، وهم قلة ،
ولا يضير صلاب الوجوه ، وهم كثرة ، ويح البريء من الآثم ، هذا
قسمته ان يستر وجهه من مخاز عن يمينه وشماله ، لا يد له فيها ، وهذا
حظه ان لا يبالي ، حياة اولها عبث ، ووسطها ضلال ، وآخرها نكال ،
فاذا بلغ نهاية الشوط ان تنفعه العظة ، قضى الأمر وختمت حياة الآثم
الساعة تدق ، لم يبق على منتصف الليل سوى ساعة واحدة ، رجعت
الى مكان جلوسي ، وفي صدري بعض الراحة ، ثقل جفناي ، نمت
رأيت نفسي على رابية عالية ، بين ماء وزرع ، يكاد الفجر ينبثق ، من

ذا لا يفتنه هذا الجمال ، اسمع صوتاً : هذا النشيد كأنه من شعري ، الناشد يقول
يا ليل كم فيك من شؤون مستترات عن العيون
قد كان علمي بها ظنوناً قال ظني الى يقين
ابن هذا القائل ، مشيت الى مصدر الصوت ، اذا بانسان ، كان
راقداً فاستوى قائماً ، تأملته ، فكأنني نظرت في مرآة ، لا فرق بيني
وبينه في شيء ، كذلك ثوبه هو عين ثوبي ، سبحان الخالق القادر ،
قلت لشبيهي : السلام عليك ، قال وعليك السلام ، قلت لمن البيتان
اللذان انشدتهما ، قال هما لي ولك ، قلت هذا عجيب ، قال اما عرفتني ،
انا مصدر الهامك ، انا مورد معانيك في شعرك وثورك ، انا خاطرك ،
زعموا من قديم الزمان ان لكل شاعر شيطاناً ، اذا صدق الزعم فانا
كذلك شيطانك ، قلت وما تفعل هنا يا حبيبي يا شيطاني ؛ أجبت بي
ام جئت بك ، قال لا تكثر من السؤال ، اني زائر في ليال عشر ،
وسأريك في كل ليلة عجيباً ، فسر معي اذا شئت

امسكت يمينه بشمالي وسرنا ، دخلنا مدينة لا اعرفها ، ومررنا
بطرق كثيرة ، الى ان وقفنا امام دار كبيرة ، في زقاق ضيق حالك الظلمة ،
قلت لمن الدار ، قال لا تسأل عن اصحابها ، اننا لا نعرفهم ولا يعرفوننا ،
قلت فكيف ندخل بيتاً لا نعرف اهله في مثل هذا الآن ، قال هذا
منزل يدخله من يريد ، هذا بيت من بيوت القمار ، هنا قوم يسعون
الى الفقر من طريق الغنى ، هجم الناس وما زالوا ساهرين ، ليس
للمقامر ذمة ولا عهد ، لا يأسف الا على دنائير يخسرها ، ولا يفرح
الا لدراهم يربحها ، يضيع المال في حب المال ، ولا يشعر
صعدنا الى الطبقة الاولى ، ودخلنا من احد ابوابها ، فاذا مكان

فسيح ، تتوسطه مائدة طويلة ، عليها نقود من ورق وفضة ، وحولها
اناس كثيرون بأيديهم ورق اللعب ، وقفت بجانب احدهم ، كان ضخم
الرأس والجسم ، منتفخ الاوداج ، يسبح في عرقه ، له بطن بارز ،
يسع بطوناً كثيرة ، يضع رجلا ويرفع اخرى ، قلت لشرطاني ماخطب
الرجل ، قال انه في حال حصر شديد ، لكنه لا يريد ان يذهب
لقضاء الحاجة ، الا بعد ان يذهب ما في يده فيستريح ،

مرت لحظة ، قام الرجل بعدها مهرولاً ، غاب عنا قليلا ، وعاد
باحثاً عن طربوشه وعصاه ، اخذها ووزل ، اقتفى شرطاني اثره ، وانا
وراءها ، فمازلنا نجد في السير ، الى ان وقفنا امام دار عتيقة ، تكاد
اركانها تنداعى ، دخل الرجل وبقينا ، سألت شرطاني عما نصنع ، قال
اتنا نسمع من هنا كل شيء ،

سمعت زوجة الرجل وقع قدميه ، فقامت اليه ، قالت هذا موعد
كل ليلة ، واني لأرى على وجهك خيبة الآمال ، ماذا فعلت ، لم
يكن جوابه سوى ضربة شديدة ، صرخت المسكينة من الم الضربة
وقالت : فاقة ، وسهر ، وضرب ، من ذا يحتمل كل هذا أضعت مالك
ومالي ، ومازلت تأخذ مما في البيت حتى لم يبق شيء ، واليوم اخذت
نوبي الثاني فبعته ، قلت لك اعطني من ثمنه شيئاً ، اشترى به خبزاً يأكله
غداً عيالك اذا جاعوا ، فكان جوابك لي مثل هذه اللطمة ، وتركنتني
ايها الظالم ، يحيط بي ابناؤك وبناتك الصغار ، أبكي ويكون ، لم نجد
ما نشترى به شمعة ، فبتنا ايها القاسي في ظلمة الليل ، نرتعد خوفاً ورعباً
لم اطق سماع ما بقي ، سددت اذني وجريت ، ومازلت اجري الى
أن صحت ، في الساعة الأولى بعد نصف الليل .

انا وشيطاني



(صحيفة ٥) تأملته ، فكأنني نظرت في مرآة . لا فرق بينه
وبيني في شيء . كذلك توبه هو عين توبي . سبحان الخالق القادر !

في عالم آخر

ها أنا حيث كنت بالأمس ، يا شيطاني العزيز : بلغ الشوق اليك
مداه ، لو جاز للشاعر ان يبدل اسم شيطانه ، لما دعوتك إلا ملكا
كريماً ، انك تهدي ولا تغوي ، وتنصح ولا تغوي ، جوال ، بحاث ،
حلو في نكاتك ، مرّ في جدك ، من ذا أسامره الى أن ألقاك ، اين
تلك الزهر الساطعة ، مؤنسة الموحش ، سميرة النجوى ، ليست الليلة
كالبارحة : تقنع الأفق بغمام كثيف ، فهل تبصر العين في دولة السواد
الا ظلاماً ، ما أشبه ليلتي باحدى أخواتها ، قلت فيها من قصيدة
وليلة ضل فيها النجم ليس لها بدر اناجيه أو صبح ارجيه
سهرت حتى نسيت الصبح وانتشرت لي الشجون وهم كنت أطويه
وبعد ، فاذا تصنع يا حمدي اتتلاق بشيطانك ، لا بدّ من غفوات
في هذا المكان متعاقبات ، الى ان تنتهي ليلاتك العشر ، فهل
لحفنيك من سلطان على الكرى ، وهو سلطان الحفون ، أم تمام نومة
« جحا » بعد يقظته ، لياخذ ما تعفف عن اخذه في رؤياه ، اللهم
هبني سنة من النوم ، ارى فيها شبيهي ، حبيبي ، شيطاني
لطف الله بي ، ادركني نعاس لذيذ ، فنوم هنيء ، رأيت نفسي
سائراً في طريق بالقاهرة ، مزدحم بالسالكين ، من ماش وراكب ،
قبعتي على رأسي ، عصاي يميني ، وشمالي تبرم شاربي ، كهادتي حين
افكر في شيء ، الأصوات من كل جانب ، بينها صوت يناديني ، من
المنادي ، تلفت يمنة ويسرة ، لم أر واحداً ممن أعرفهم ، وقفت ، لم يطل

وقوفي ، أقبل عليّ من تمنيت لقاءه ، رأيت يوسع الخطى ، ويشق الصفوف ، مرتدياً مثل ملابسي ، وعلى رأسه أخت قبعتي ، فلما دنا ، سلمنا ، ثم مشينا كمتوأمين ، قلت له أأنت المنادي ، قال نعم ، قلت اراك مقتدياً بي فيما على رأسك ، قال أخطأت ، بل أنا واضعها قبل أن تضعها ، قلت أصبت ، وسألته عن وجهتنا في هذه الليلة ، قال لا تعجل ، لي معك حديث ، في نهايته بداية الاتجاه الى القصد ، فواصل سيرك معي ، أني أعرف مكاناً يليق بخلوتنا

سرت مؤتسماً بشيطاني الفاضل ، كذلك قبعتي كانت مؤتسمة بعفريتتها ، قال مصاحبي : إتنا الآن في الساعة العاشرة من الليل ، وأنا على وشك الوصول الى مقر خلوتنا ، قلت وما هو ، قال خيمة جميلة ، لا يقصدها أحد في مثل هذه الآونة فهي لنا بلا شريك ، ووافينا المكان ، فاذا بنا في جنة ، لم تبصر العين بأحسن منها ، تطلع البدر إليها ، يالها نظرة جعلت الليل أضواً من الصباح ، فابتسمت ورودها ، من بيض ، وحمرة ، وصفرة ، ولمع غدورها الصافي ، فنظرنا فيه الى سماء ثانية تحتنا ، وكأن الأطيّار نهبها هذا الجمال ، فحيت روضها بأساجيع من لغة القلوب

جلسنا على مقعد من الخشب ، قال شيطاني : أأعجبك هذا الموضع ، قلت رضي الله عنك ، قال فاستمع ، قلت تكلم ، قال : ان من عباد الله من لا تروقهم حياتنا ، لذا اختاروا ان يعيشوا في عالم آخر ، هم معنا بحسومهم ، غيب عنا بعقولهم ، يرون كل شيء على غير حقيقته ، فيسرهم ذلك التغير في صور الاشياء ، أولئك هم طائفة الحشاشين ، الحشاش يرى الحصان ذا قرنين ، ثم يحده جملاً ، ذا جناحين ، فاذا انقلب

الجل الى ارنب كبير ، الى زورق ، الى كلب يعوي ، ضحك الحشاش
وقال : (ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن) ، والحشاش مريض
الصدر ، شاحب اللون ، ضعيف البصر ، مفكك الأعصاب ، ذليل ،
جبان ، لا ادري من أوجد هذا النبات السام ، قتال النفوس ، سلاب
العقول ، ولا اعلم ماذا يجد القوم من لذة ، في غيبوبة آخرها حسرات

للقوم نوادر عجيبة ، يتفكك بها أناس ، ويتعظ آخرون ، أقص
عليك طرفاً منها . قبل ان تغادر المكان ، قلت تفضل اذا شئت ، قال :
زعموا ان اثنين خرجا من (المحششة) في آخر الليل ، عائدين الى
منزليهما ، كان البدر في تمامه ، قال احدهما : أشرقت الشمس ، متى
ننام ومتى نصحو ، قال زميله ، وكان أقرب منه الى الوعي : هذا قمر
لكنه كبير ، اختلف الاثنان ، لم يستطع احدهما إقناع صاحبه ، وبينا
هما في جدالهما ، اذا برجل من الطائفة ، لا يعرفانه ، يمشي مشية الخائف ،
يلمس الجدار في كل خطوة ، فاتفقا على جمعه حكماً بينهما ، سأله احدهما ،
يا أخانا ، هذا قمر أم شمس ، فأجاب الحكم : عفواً ياسيدي ، انا لست
من اهل هذا البلد ، وحكى رجل عن نفسه ، قال مررت بمنزل صديق
كان جالساً امام بابه ، فدعاني الى شرب القهوة ، أجبت دعوته ،
وجلسنا احاده ، فأخرج من جيبه ورقة ، فيها قطعة من الحلوى ،
ناولني منها جزءاً صغيراً ، قلت ما هذا البخل ، قال ماظنك بهذه الحلوى ،
قلت ليست مما يباع في الاسواق ، قال نعم ، لكنها نوع من (المنزول)
قلت ومن اي الاصناف يتركب هذا المنزل ، قال من اصناف كثيرة ،
رأسها الحشيش ، أكلت القطعة بنية الاختبار ، ثم شربت القهوة ،
وغربت الشمس ، فسلمت وعدت الى منزلي ، قالت زوجتي : اتشترى

لنا سمكا مشوياً من السوق ، قلت اعطيني وعاء اضعه فيه ، فلما جاءت به ، تعلق بي ولدي ، وهو طفل في الثانية من سنه ، اشفت عليه ، فرفعته الى كتفي ، واخذت الوعاء وانصرفت ، بي ظمأ شديد ، لا أعلم انه من المنزل ، نسيت ان اشرب في البيت ، فاين اجد الماء ، وبعد مسير قليل ، رأيت (زيرا) بجانب جدار ، قلت هذا من فضل ربي ، ودنوت منه لأرفع الغطاء ، اذا بالزير يتكلم قائلاً ماذا تريد ، ارتعدت فرائصي ، قلت له ومن أنت ، قال انا الحفير ، قلت اذن لست بالزير ، فضحك الرجل وخجلت ، غرني لون ردائه وانكاشه فيه ، ولما بلغت حانوت السماك ، أنزلت ولدي الى الارض ، ووقفت الى ان وزن لي رطلين ، أنقل المنزل جفني ، ودارت الارض تحت قدمي ، فلما ملت لأحمل ولدي ، حملت كلباً كان بجانبه يداعبه ، مشيت ، مد الكلب عنقه ، اذ شم رائحة السمك ، قلت اصبر ، ستأكل منه مع أمك ، فأطاد الكرة ، اعطيته قطعة ، لم يقنع بها ، ناولته الثانية ، زاد طمعاً ، القمته الثالثة ، فالرابعة ، فالخامسة ، الى ان وافيت البيت ، قالت زوجتي : اهذا هو السمك ، قلت ما ذنبي ، أكله ولدك في الطريق ، فضربت صدرها وقالت ولدي ، اين ولدي يارجل ، انت جننت ، تعود بسمكتين ، وعلى صدرك كلب ، تقول انه ولدي ، اين تركت الولد ، ماذا اصاب عقلك ، نظرت الى ما احمل ، فاذا به كلب اصفر لطيف ، رميته على الارض ، ايقنت اني (مسطوك) ، فأخبرت زوجتي بالقصة ملتصقاً عفوها ، ووصفت لها محل السماك

قال شيطاني : هذا يسير من الفكاهة والعظة ، والآن يجب ان نقوم من هنا الى وجهتنا ، سرنا في طرق مختلفة ، الى ان وقفت أمام

باب عليه زحام شديد ، قلت ما الخبر ، قال تمهل ، رأيت رجالا خرجوا
مربوطين من ايديهم بحبل واحد ، يحيط بهم رجال الشرطة ، قلت
من هؤلاء ، قال حشاشون ، فاجأهم رجال الضبط ، وهم يسوقونهم الى
(القسم) كما ترى ، ليكونوا عبرة للناس ، قلت ارى بينهم فتى عليه
دلائل النعمة ، يكاد يذوب حياء مما هو فيه ، قال عسى ان يعتبر بما
أصابه أمثاله ، بين ذوي النعمة فتیان زادوا ويلاتنا بما يتعاطون من
كل جوهر سام ، غير مفكرين في العواقب ، والآل استودعك الله ،
سلمت عليه شاكرأ ، وصحوت في منتصف الليل .

— ٣ —

غل اليد الى العنق

هذه الساعة العاشرة من الليل ، في مثل هذا الآن ، تعودت العين
أن يزورها كراها ، اغفيت ، رأيت في سنتي ، عروس الافق ، أم
الوجود ، أخت الأزل ، بادية الجبين من مشرقها ، تفيض على الكون
نعمة نورها ، أهلا بيائمة الحياة ، سيدة النيرات ، لولاك لما ميز البصر
شيئاً من شيء ، ولا تقعت هداية العقل ، ولا اجدت محاولة البقاء ،
أسفري ، أنيري ، أرى منازل صغيرة ، كأنها خلايا النحل ، هبت ذووها
من مضاجعهم ، أو لثك قوم خلقوا ليعملوا ، فبهم الصانع ، والبائع ،
والزارع ، يسعون في مناكب الارض ، ليجدوا ما قسم لهم من رزق
حلال ، فهم وامثالهم اسس العمران ، من ذا يشابههم ، ايستطيع
الحاسبون ان يحصوا من ينامون منا الى الظهيرة ، على فرش وثيرة ، في

قصور عالية ، أو لك من كتب على أكثرهم ان يكونوا خزنة : يكتزون المال ، لجهلهم سبل انفاقه ، لم يكدوا ليجدوه : وجدوا فيه وتركوا ، فهل يستطيعون الا ان يكونوا له حافظين

ثم التفت الى الغرب ، قالت ارضاً واسعة ، نبت زرعها ، في وسطها قصر عظيم ، على جانبيه اشجار كثيرة ، تعانقت اغصانها ، تآقت نفسي الى جولة في تلك الناحية ، مشيت اليها ، بلغتها ، فاذا صوت من بين الاشجار : ينشد

« قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه
ويصنع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من صنعه
فاقبل من الدهر ما آتاك به من قر عيناً بعيشه نفعه »

هذا مما احفظه من قول المتقدمين ، فيه خير عزاء للفقير ، قيل انه للأضبط بن قريع ، وللأبيات بقية ، فن الناشد ، ما اشبه الصوت بصوت شيطاني العزيز ، خطوات الى جهة الصوت خطوات معدودات ، فبدالي من ذكرته بصوته ، هو بعينه ، صديقي الأوفى ، شيطان بك يكن ، أنعم الناس علي بلقب البك ، وما هم بمصدر الانعام ، ولا انا به جدير ، فكيف لا القب به شيطاني ، وهو بمثله أولى

أقبل صاحب العزة مسلماً . فسلمت ، قلت أنت الناشد ، قال أفي ذلك شك لديك ، قلت ولم امسكت عما بقي ، قال أتجهل ان لكل مجال مقالا ، وأشار بالقعود في ظل شجرة ، فقعدنا ، قلت لمن هذا القصر ، قال انه لرجل من ذوي النعمة ، يقيم فيه مع خادم واحد ، هذه الاشجار ، وهذا الزرع ، من بعض ما يملك ، ستراه بعد قليل ، ان له بين أولي اليسار لا مثالا ينحطهم العد ، غلوا ايديهم الى اعناقهم ، وحبسوا

المال في سجون من الفولاذ ، محكمة الاقفال ، لا يدخلها الهواء ، ولا يخرج منها الهباء ، ضنوا بما وهبهم الله ، حتى على انفسهم ، فلا نصيب في ما لهم للسائل والمحروم ، هؤلاء أشد على الناس ضرراً ممن يبذرون تمييزاً ، ذلك الفريق لا يؤذي الا نفسه ، وقد يخرج المال من يد بعضه ، الى يد من يحسن تدبيره ، وهؤلاء ، حراس على الدينار والدرهم ، لا تفتح صناديقهم الا ليوضع فيها ، مثلهم كرجل من الرعاة ، علا صوته بالندب والبكاء ، فمر به عابر سبيل ، قال ما يبكيك يا رجل ، فأشار الراعي الى كلب بجانبه ، وقال هذا حارسي الأمين ، وصديقي الذي لا يخون ، يلفظ نفسه الاخير ، لما بلغ به من الجوع ، قال الرجل : لكنني ارى في حقيبتك شيئاً من الخبز ، فلماذا لا تجود عليه بقطعة منه ، قال الراعي : يا هذا ، ان الصداقة يمتناوفت عند هذه الحقيبة ،

بلغت الشمس اعلى الافق ، وفتح باب القصر ، فخرج اثنان ، يتقدم احدهما الآخر ، الأول رجل كالابريق ، له انف كالخرطوم ، وبين كتفيه كمثل سنام البعير ، قال شيطاني هذا صاحب القصر ، والثاني له سيمياء تشق على البصر ، اذا مشت على يده بقعة لم تظهر ، لتشابه اللونين ، فهو بقي اللون ، ذو رأس صغير ، واذنين كمروحتين ، وعينين كخرزتين ، قلت ومن هذا ، قال انه وكيه ، كاتبه ، حاسبه ، رسوله ، طاهيه ، حاجبه ، فاذا مرض مولاه ، وصف له ما يعرف من دواء ، فكان طبيبه ، واذا تعب في سيره ، حمّاه على ظهره ، فكان دابته ، وانه بهذه الصفات لأرجح عقلا من سيده ، ولولا ما يكسبه فوق مرتبه ، في غفلة من مخدومه ، لاستقال من هذه الوظائف جميعها ، فاسمع حديث الرجلين ، انهما قربا ، ولازم معي هذه الشجرة ، خشية ان يرانا احدهما

قال التابع لسيدته : آجبي بالكروسي لمولاي ، قال السيد : ألم
أجلس عليه بالأمس ، هذا النوع سريع التلف ، وأنت تعلم ان
الكروسي جديد ، لم يمض عليه الا سبعة اعوام ، وما عيب الجلوس على
الارض فوق هذه الاعشاب ، من الارض خرجنا ، واليها مرجعنا ،
وقعد الاثنان ، قال التابع : قرأت في احدى الجرائد رسالة مسهبه ،
حمل كاتبها على سراتنا حملات منكرة ، اذ قال ان في بلادنا لتابع
للمال ، لا يجريها سوى المال ، وان من سراتنا من ينفقون الدينار في
اللهو واللعب ، ومنهم من يحبسونه بلا فائدة ، ولو شاء الفريقان ،
لاقتديا بالعدد القليل ممن يزاحمون الغرباء في مناهل الكسب ، وفي
ذلك نماء المال ، وصالح المال ، ومتسع للعاطلين وهم آلاف ، سدت
في وجوههم ابواب الارتزاق ، وذكر الكاتب : ان في بلادنا اراضي
اذا عمرت جاءت بخير وفير ، واتنا في حاجة شديدة الى مختلف المعامل ،
ودور الصناعات ، فما قول سيدي العظيم فيما كتبه الكاتب ، قال السيد :
ألم اقل لك لا تقرأ من الجرائد سوى قسم الحوادث ، واسعار القطن ،
قال التابع : عفواً ياسيدي ، هذه هفوة في العمر ، وعلى ذكر الحوادث
قول ان احدى الصحف ذكرت : ان شركة أجنبية ستمد خطاً حديدياً
بين كذا وكذا من بلادنا ، وقالت في نهاية الخبر : أين انتم يا أغنياء
البلاد ، قال السيد : ماذا اصابك يا هذا ، أراك لا تنطق في يومك الا
بما يؤذي السمع ، قل الخير والا فاسكت

فاجأني سعال شديد ، انتبه الرجلان ، مشياً نحونا ، قال السيد :
ما شأنكما في هذا المكان ، اجتمعا الى هنا لتسرعا ، قلت هذب قولك
يارجل ، ما نحن بلبصوص ، انا شاعر كاتب ، وهذا اخي ورفيقي منذ

نشأتني ، قال أأنت كاتب تلك الترهات ، ومالي بها رأس هذا التابع
 الاحمق ، قلت الا يوجد في الدنيا كاتب سواي ، قال بل انت الكاتب ،
 وجئت الآن تسترق السمع ، لتعلم ما ذا اقول ، ورفع يده يريد ضربني ،
 فقبضت على انفه يسراي ، وما زلت اضربه الى ان صحوت ، في
 الساعة الأولى بعد نصف الليل

— ٤ —

في بنت الحان

اطبقت جفني ، رأيتني لا ازال اضرب صاحب القصر ، توصل
 الي شيطاني ان اكف عنه ، فكففت ، وما ايقن المضروب بالنجاة
 الا وقام يعدو ، قلت لشيطاني واين التابع ، قال امسى متبوعاً ،
 ظنني ضاربه ، فسبق مولاه بالفرار ، ولسان حاله ينشد
 « وفي الهيجاء ما جربت نفسي ولكن في الهزيمة كالغزال »
 بورك فيك يا حمدي ، من اين لك هذا الساعد المجدول ، قلت
 أمثل من رأيت يكون الساعد المجدول ، هذا المسكين لو صارعه خياله
 لصرعه ، وانك لتعلم ما في خلقي من كره الشر ، وتجنب العدوان ،
 لكنه رام البداية بالاذى ، فرددت أذاه بمثله
 « وفي الشر نجاة حين لا ينجيك احسان »

قال شيطاني : ولى النهار ، وأقبل الليل ، فيجب ان تغادر مكاننا ،
 قلت الى اين ، قال سر معي واستمع الى ما اقول ، فلما بدأنا المسير قال :
 اريد الليلة أن أمر معك بعشاق بنت الحان ، اولئك قوم شأنهم عجيب ،
 تفاوتت درجاتهم في العقل والعلم والمال ، اذا غربت الشمس قاموا الى

غبوقهم مسرعين ، يافرحة الخمار ، جاء البك ، والعمدة ، والافندي ،
والسيو ، جيوبهم ملاءى ، يريدون ان يشتروا ما يحل من رؤوسهم
يحل ادراكهم ، ومن جسومهم مكان صحتهم ، وضعت الزجاجات مفعمة
بأنواع السموم ، وصفت الاقداح ، يليها اطباق حوت مختلف الالوان ،
لا يعلم احد كيف صنعت ، فاذا مضت ساعات من الليل ، آب الواحد
منهم الى داره ، يكاد يمشي على اربع ، ومن لم يبلغ به سكره هذا
الحد ، رأته مائلا في مشيته ، خائر القوة ، ثقيل اللسان ، زائف
البصر ، كربه الرائحة ، يضحك لكل تافهة ، ويفضض مما لو سمعه في
صحوه لأرضاه ، والسكران جريء الى حد التهور ، كذاب ، فضولي ،
يذهب من عقله بين كل نشوة ما لا يشهر به ، قيل لعثمان بن عفان
رضي الله عنه : ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ، ولا حرج
عليك فيها ، قال « اني رأيتها تذهب العقل جملة ، وما رأيت شيئا يذهب
جملة ويعود جملة »

قلت لشیطاني : وما ظنك بمن يبيعون أصناف الخمر ، أليس
اكثرهم من الغاشين ، قال لعن الله مغشوشها وغير مغشوشها ، كلاهما
فانح أبواب الشر ، زائن الآثام ، جالب الآلام ، ألم تر الى الامم
الراقية ، كيف بدأت تحارب هذه الآفة ، ما أشد حاجتنا الى الاقتداء
بها ، (١) جاء الغرباء الى ارضنا ، فباعوا الخمر لشاربيها منا ومنهم ، لم
يقتد احد منا بالبائعين ، وتشبه كثير بالشاربين ، أنفوا بيعها ، وما
عافوا شربها ، أتريد بعد هذا دليلا على تمكن الداء ، أم تتطلب برهانا
على فقدان التمييز ، بين حرام فيه شيء من الكسب ، وحرام كله

(١) من المصادقات اللطيفة ، انه بعد نشر هذا الفصل بأيام ، رفع فضيلة
الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الى جلالة الملك مذكرة بشأن مصادرة الخمر

خسران ، هكذا هوي فريق منا الى الدرك الاسفل من سوء المصير ،
لو نطقت المقابر ، لما أحصينا عدد من ذهبوا ضحية الحمر ، الا بعدا
لها ، وسحقاً لشاربها وبائعها ، ان ما ينفقه شاربوها في اليوم الواحد ،
ليكني كثيراً من اوجه البر ، واعمال الخير ، ايها السكارى متى تفيقون
بلغ بنا المسير حانة كبيرة ، لها بابان ، قلت لصاحبي ماذا تريد ،
قال الدخول ، قلت وما جوابنا اذا سألنا الحمار عما نود شربه ، قال
عليك السكوت وعلي الكلام ، دخلنا ، فاذا مكان متسع ، جميل
الزخرف ، تسطع فيه انوار الكهرباء ، وفي الاركان والجوانب مقاعد
فاخرة ، جلسنا في ناحية ، على مقربة من ثلاثة كانوا يضحكون ، جاء
الساقى ، فسلم وقال بماذا تأمران ، قال شيطاني : الأوفق ان ينتظر
قليلا ، انا على موعد مع رفاق لنا ، فانصرف الرجل ، قلت لشيطاني :
لله درك ، ما أكثر حيلك ، قال لا تضع الوقت في الاعجاب بي ، أنظر
الى جيرائنا الثلاثة ، واستمع لما يقولون

كان جيرائنا كهلين ، بينهما شاب ، تدل هيئته على انه من ابناء
النعمة ، وتم حركاته عن غرور بقوة الشباب ، قال لصاحبيه : أتعلمان
ما فعلت في الليلة البارحة ، قالوا اتنا تركناك على مقربة من منزلك ،
قال نعم ، وبعد ذلك ، مشيت خطوات ، فاذا بي اسمع نباح كلب جارنا
في حديقته ، الكلب ضخم الجسم قوي العضل ، من سمع منه هذا
الصوت : هَو ، هَو ، هَو ، ظنه أسداً يزأر ، فلما رأي من السور
الحديدي ، كاد يحن ، وثب وثبة فكان امامي ، اتحسبان آتي فزعت ،
كلا ، هجم الكلب فاتحاً فاه ، أتعلمان ماذا صنعت ، قبضت يدي ،
ادخلتها في فيه ، وما زلت ادفعها الى ان قبضت على مؤخره ، فجذبت به

جذبة قوية ، جعلت باطنه ظاهره ، وظاهره باطنه ، فلما انقلب الكلب كما وصفت ، انقلب كذلك نباحه من هو هو هو ، الى وه وه وه ، ضحك الصاحبان ، وضحكنا ، فهمس شيطاني في اذني قائلا : ألم اقل لك ان السكران كذاب ، هذا نموذج من كذبه ، لكنه من نوع لا ضرر فيه ، وكم للسكران من أكاذيب يؤذي بها نفسه وسواه

قال الشاب لصاحبه ، ضحكتما لكنكما لم تصدقا روايتي ، قال قائل منهما : وما دليلك على صدق زعمك ، قال الشاب ، دعنا من الدليل ، سترى الآن ما يهر الناظر ، هذه المرأة سأكسرها بضربة واحدة ، وقام ليضربها ، منعه خادم الحان ، فكانت الضربة من نصيبه ، صرخ الرجل ، واجتمع الناس ، وجاء الشرطي ، فقاد الضارب والمضروب الى مقر العدل والجزاء

قال شيطاني : زينت الحمر للمسكين ان يتبع الاكذوبة بأخرى ، ليست من نوعها ، فأصابه قبل تمثيلها ما أصابه ، انه سيقضي ليلته في مركز الشرطة ، وسيدعو صاحبيه الى تلفيق شهادة ، يظن انها تنجيه ، مما وقع فيه ، وكم للقوم من امثال هذه الواقعة ما فيه موعظة وذكرى للذاكرين ، والآن ، قم معي ، اصاحبك الى منزلك ، قمت معه ، سرنا ، الى ان وقف امام داري ، فسلمت ، وصحوت في منتصف الليل

اعداء العفاف

كانت امامي احدى الصحف ، قرأت فيها اسطراً من مقالة ،
عنوانها (الزواج بالاجنبيات) ، ولم اجد غير ما قيل مراراً ، طويت
الصحيفة ، مدت يدي الى (الكامل للمبرد) فقرأت صحائف ،
الحمد لله ، طهرت فكري من لغة الدواوين ، وكتابة بعض الجرائد ،
ثم بدأت اقرأ شعر سيد الشعراء ، حبيب بن أوس (ابي تمام الطائي) ،
ان ان رويت من هذا المورد العذب ، وجاشت النفس الى نظم الشعر ،
فلم استطع ، انه عصاني ، والشعر يأتي ولا يُطلب ، فليس لي الا ان
اتبع نصيح الشاعر الحبيب ، لقد قال : « اذا عصاك الشعر فتركه ،
ثم عد اليه » ، امرك ياسيدي على الرأس والعين ، عدلت عن التفكير ،
وذكرت موعد لقائي بشيطني ، قهيات للنوم

رأيتني سائراً في طريق المرصد الفلكي « بحلوان » ، هذا موضع
نزعتي في كل بكرة ، بلغت اعلى الهضبة ، فوقفت على مقربة من
حوض الماء ، لم اصادف مخلوقاً ، ولا حارس الحوض ، نظرت الى
المدينة نظرة ، واخرى الى النيل في مجراه ، وكأنه يبتسم للنهار ،
ليفيض على مصر من خيره ما يفيض ، ولطافة النسيم ، كأنفاس أم
على مولودها ، فطرق مسمعي من الجانب الآخر للحوض ، صوت ينشد
زمانك شأنه عجبٌ وغاية جده لعبٌ
فلا عقل ولا ادب كان ذويهما ذهبوا

زمان الخير قد ولى وولى الخير في أثره
 فهل أبقى له ظلاً سوى المطوي من خبره
 أذكر ما مضى الا سمير الهم في سهره
 يعيش العمر يرتقب على الأيام ينتحب

لأهل الغي أهواء فهم صم عن الرشد
 لقد عبثوا كما شاؤا وهل يخشون من احد
 همو للطهر اعداء اساؤا سمعة البلد
 واهل النصح كم كتبوا بلا جدوى وكم خطبوا

قلت : الشعر عصري ، كأنه شعري ، والصوت صوت شيطاني ،
 فاين هو ، ما أظنه الا جالساً في اول المنحدر ، مشيت اليه ، رأيته ،
 وهل يخفي القمر ، فما نقته ، وقبلته ، وسألته لمن الشعر ، قال انه لك ،
 هذا ما حاولت نظمه في غيبة شيطانك ، فما أفلحت ، وأنتك الآن
 سامعه ، وغداً قائله ، وأني لأرى ان نذهب من هنا بعد قليل ، قلت
 وما وجهتنا ، قال القاهرة ، مالك لا تقصد هذه العاصمة الا لاداء عملك
 في الحكومة ، قلت الا تعلم كثرة شواغلي ، انك رسولي اليها ، ومحدثي
 باخبارها ، قال ولكن قيل

« يا ابن الكرام الاتدو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا »
 قم معي الى (المحطة) ، هذه الساعة افضل من سواها ، وسترى
 في مصر اعجب العجب

بلغنا المحطة ، ركبنا القطار ، قال صاحبي : الا تذكر ماسطرته في
 (دقاتك على اوتار القلوب) بعنوان « نموذج في صلابة الوجه » ، قلت

اذكر ، قال اود ان اريك نموذجاً ثانياً ، لتعيد الكرة ، لعل في
 الاعادة بعض الفائدة ، فقد كثر اعداء العفاف من صلاب الوجوه ، وهم
 كما تعلم ، ممن قل حياؤهم ، وزادت جرأتهم ، ومحيت مروءتهم ، لا عمل
 لهم سوى مغازلة النساء ، سيان عندهم المصونة وغيرها ، فهم شراخن ،
 على بني آدم وبنات حواء ، لا ادري ، أأريك من جعلوا مهنتهم الذهاب
 والأياب ، في كل سبيل ، أم من حكموا على انفسهم بالوقوف امام
 المخازن التجارية ، أم من يتعلقون بكل قطار من الترام
 تكاثرت النظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

ماذا يعمل نساؤنا ، أخرج كل واحدة ويدها بوليس تتوكأ عليه ،
 ام تسجن في بيتها ، فلا تزور ولا تزار ، ولا تقضي حاجة من حاجاتها ،
 لقد صبرنا ، ونصحنا ، وشكونا ، فما اغنى الصبر ، ولا اجدى النصح ،
 ولا نفعت الشكاية ، ألا الى الله المشتكى

وصل القطار الى (باب اللوق) ، قال شيطاني : استطيع انتظاري
 دقيقتين ، قلت لماذا ، قال لآتي بدراجتين ، قلت اني لم اركب دراجة
 في حياتي ، فماذا نويت لي من الخير ، قال لا تخف ، ستركب دراجتي ،
 وهي عجيبة لا مثيل لها ، فهي تسير وتقف بأمرك ، ولا تميل ولوملت
 انت فوقها ، واذا شئت طارت ، واذا اردت هبطت ، فلا نظير لها عند
 سائر الشياطين ، كنت راكبا بالأمس ، ادركت بها اثنين ، كان
 احدهما يثني عليك ، والآخر يعارضه بحماسة شديدة ، فأوقعته على
 وجهه ، جزاء غباوته ، قلت اذهب وجيء بما وعدت

غاب شيطاني وحضر ، كلح بالبصر ، ومعه دراجتان ، ركب
 واحدة ، وركبت الثانية ، ما ألد ركوب الدراجات ، ليتني تعلمته قبل

أعوام ، بلغنا « العتبة الخضراء » ، الزحام شديد ، قال شيطاني : أنظر الى هذين الشابين ، يجب ان تتبعهما اينما ذهبا ، وثب الشaban الى قطار وجهته القلعة ، فوقفا امام مكان السيدات ، يرمان شاربيهما ، ويرقصان حاجبيهما ، والبذاءة تندفق كالسيل من فيهما ، فكان نصيب احدهما ، ضربة « بشمسية » ، والاخر بصقة ملأت عينيه ، فنزلا الى الارض ، هذا يحك رأسه ، وذاك يمسح وجهه ، وتعلقا بقطار ثان ، يسير الى العتبة الخضراء ، تبعناهما ، فابصرنا بسيدة بين يديها كيس اسود ، قالت لهما : لقد حرمتما عليّ المرور من طريقي هذا ، فماذا تريدان ، قال احدهما : نريد اخذك معنا الى حيث نشاء ، فأدخلت السيدة يدها الى الكيس ، وكانت أعدت فيه مقداراً من الرمل ، فرمتهما بملء قبضتها ، صرخ الاثنان ، ووقعا يسبان ويلعنان ، قلت لصاحبي : ليس امامهما الا المستشفى ، لا اوصلهما الله اليه الا بعد تمام العمى ، لينجو الناس من اذاهما ، وسرت بدراجتي الى ان صحوت ، في منتصف الليل

شيوخ الجمل

رأيت فيما يرى النائم : اوزاعاً من الناس ، أحاطوا برجل ، ظننته يخطب ، وحسبتي في « مظاهرة » ، قلت ما شأني في هذه المواقف ، اني بعيد عن السياسة ، لكنني سمعت القوم يضحكون ، فتاقت نفسي الى معرفة السبب ، دنوت من الجميع قليلاً ، قلت لأحد الواقفين ما الخبر ، فأجابني ضاحكاً : هنا رجل من الحواة ، يلعب العاباً لطيفة ،

فوقفت مع المتفرجين ، وبينما أنظر الى ما يديه الرجل من مهارة الشعبة ، اذا يد لمست كتفي ، التفت ، رأيت شيطاني ، أهلاً بصديقي الغالي ، ، ورفيقي منذ شاعريتي ، اين كنت ، وكيف اهتديت الي ، قال اني من لا تجده كلما أردت ، وانك من ألقاه حين أشاء ، سر معي الى هذه الشجرة ، نستظل تحتها وتحدث ، مشينا اليها وقعدنا

قال شيطاني : أرايت الى من أحاطوا بالمشعبد ، قلت أجل ، قال ان فينا من هؤلاء عدداً كثيراً ، شاع بين أكثرهم الجهل ، فأعمى أبصارهم ، وأضل عقولهم ، تنسلط عليهم أناس ، فارقتهم ضمائرهم ، وحلأ لهم الكسب من ايداء العباد ، فزعموا أنهم بما تعلموه من السحر ، يستطيعون قضاء الرغائب ، وشفاء المرضى ، ليس في أولئك الغاشين من يقدر أن يأتي بمثل ما يأتي به هذا المشعبد ، وهو لا يدعي علماً بالسحر ، ولا صلة بالجن ، كما يدعون ، فاذا رغب جاهل في زلفي من عظيم ، أو تمنى نجاح أمر من اموره ، ترك ما يؤدي الى مقصده ، من تفكير وتدير ، والتجأ الى أولئك المضلين بباطلهم ، فأفرغ ما يبيده في أيديهم ، وهيهات الوصول ، الى المأمول ، واذا ألم به من المرض ما أقعده عن العمل ، نسي الطبيب ، وأساء ظنه بعلمه ، وأنكر طول خبرته ، وذهب الى من يضاعف بجهله بلواه ، ويرسله الى الآخرة ، بورقة ، لا يعلم ما فيها ولا كاتبها

قلت لشيطاني : ذكرتني شجناً ألبماً ، وجددت بقلبي جرحاً قديماً ، في سنة ١٩٠٨ فتمت ولدي حسن (١) ، مرض المسكين أياماً ، فميت

(١) ظن البعض ان رواية ولدي حسن خيالية ، وهي حقيقة ، ورنأني فيه نشري حينه في جرائد مصر ومجلاتها

له بأمر الأطباء ، ولكن شاءت الأقدار ، ان يخرج مع مرضعه
للزهوة ، فتذهب به الى امرأة تدعى الطب الروحاني ، فتكتب له أحرفاً
في طبق ، ثم تمحوها بماء ، وتسقيه اياه ، جاء الطفل ملتهب الجسم ،
كانه خارج من السمير ، دعونا الأطباء ، حاروا في أمره ، وفي اليوم
الثاني ، كان « حسن » في نعشه ، وأبوه يبكيه بهذي الدموع من شعره

وارحمنا يا ولدي	يا قطعة من كبدي
هذا وداع بيننا	علي فراق الأبد
حسبتي ذا جلد	وأين مني جلدي
وأدمعي فياضة	يسبح فيها جسدي
لما بكيت (حسناً)	رق لدمعي حسدي
وهاهم ما أبصروا	من لوعي وكدي
وا أسفا يا أملي	لقد ذهبت من يدي

واستعبرت ، فاستعبر شيطاني ، ثم قال : هوّن عليك ، لكل أجل
كتاب ، ولقد عوّضك الله خيراً ، فاحمده على نعمته ، قلت الحمد لله ،
قال : وبعد هذا ، فاغتفر لي ذنباً لم اقصده ، قلت وهل انا من يذكر
هفوة الصديق ، ان جاز لي أن أسميها هفوة ، قال فقم بنا الى منزل
رجل من أولئك المدعين ، الغاشين ، الآثمين ، سترى هنالك كل عجيب
جدّ بنا السير ، الى ان وقفنا امام دار ، قلت ، لصاحبي أجبنا ،
قال نعم ، وأنا اود ان تدعي مرضاً ، قلت اني لا أحب الادعاء ،
فادع انت ما تشاء

رقينا السلم ، دخلنا مكاناً متسماً ، شغلت مقاعده بالجالسين ،
وقفنا ، جاءنا الخادم بكرسيين ، قال شيطاني للخادم : كيف يكون

الوصول الى حضرة السيد ، قال الرجل لا بد ان تنتظر دورك ، قال صاحبي : ولكنني مريض ، ومهنتي محرر جريدة ، فلا أجد من وقفي معيناً علي الانتظار ، ونفخ الخادم بشيء أبرقت له اساريره ، فدخل الى سيده وخرج قائلاً : تفضلاً ياسيدي ، دخلنا ، رأينا رجلاً اصفر اللون ، ضيق الجبهة ، صغير العينين ، اسود اللحية ، ابيض العنق ، سلمنا وسلم ، قال ايكم المريض ، قال شيطاني : انا ، قال ثم تشكو ، قال ان بأذني طنيناً دائماً ، لا اعرف له سبباً ، ولقد حار في امري الاطباء ، قال السيد : الاطباء لا يعرفون هذه الامراض ، وقام ، قال . بأذنه على اذن شيطاني ، ثم اعتدل ، ونظر اليه قائلاً : لم اسمع شيئاً ، تبسم شيطاني بسمة أدركت باعها ، وقال : ياسيدي ، ليس في اذني فونوغراف فتسمعه ، والطين داخل من الخارج ، ولم يك خارجاً من الداخل ، فغضب السيد وقال : هذا شيء لا يدريه امثالك ، ان هذا لمن عمل الجان ، هات يا هذا ديناراً ، ووافني في صباح الغد ، أعطك « حجاباً » تحمله ، فيزول الطنين ، قال صاحبي : اني لا أملك الآن ديناراً ، فخذ هذه الدراهم ، وفي الغد سأجيء بالدينار وآخذ الحجاب ، ورجائي ان يتفضل علي السيد باسمه الكريم ، قال انا السيد عمر

تم الاتفاق ، وخرجنا ، فلما بدأنا بالمسير قال شيطاني : لو كان ابن خلدون حياً ، وصادفني اليوم ، لحقته ، قلت لماذا ، قال أينكر الرجل علم المنطق ، ولا ينكر مثل هذه الحرافات ، لقد كان لاهل السحر ، والرمل ، واليزرجة ، ازمان خلت ، راج فيها ما ادعوه من باطل لا ظل للحق فيه ، وانا الآن لفي عصر تجلت فيه معجزات

العلم الصحيح ، فلماذا لا ينشط العقلاء الى تنبيه الغافلين ، والعلماء الى ارشاد الجاهلين

وبعد ، فما رأيك في السيد عمر ، قلت اظن ان له اسما غير هذا ، قال أصبت ، فأكثر هؤلاء يبدلون اسماءهم في كل بلد يرحلون اليه ، خشية الافتضاح ، وعلى ذكر السيد عمر ، سأسمعك ما يدخل السرور الى قلبك

زعموا أنه كان في غابر الأزمان ، أمير اسمه عمر ، رأى في احد الكتب ، أن من كان اسمه عمر ، وكان طويل اللحية ، كان ناقص العقل ، وان اللحية الطويلة هي ما زادت عن قبضة اليد ، قاس لحيته بقبضته ، فوجدها تزيد قيراطين ، قال لا بد من ازالة هذه الزيادة ، أمسك لحيته بقبضته ، ودنا من شمعة أمامه ، ليحرق بها القسم الزائد ، اشتعل طرف لحيته ، لمس اللهيب قبضته ، رفعها مسرعاً ، فالتهمت النار لحيته واحرقت وجهه ، تألم الأمير ، وتندم على ما فعل ، وأيقن انه ناقص العقل ، اذ فاته أن يقصها بمقراض لا يناله منه هذا الأذى ، ثم قال في نفسه : لا بد أن اعلم أهذا حكم صحيح ، أم صادفني مصادفة ، ان معلم الاولاد اسمه عمر ، ولحيته طويلة ، كذلك بستانى القصر ، فيجب أن أدعوها ، وأسألها عن اعجب ما حدث لها في حياتها

ولما اصبح ، دعا معلم الاولاد ، جاء الشيخ عمر ، قال الأمير : حدثني بأغرب ما وقع لك في حياتك ، قال الشيخ عمر : أصابني يامولاي في العام الماضي زكام شديد ، فكنت كلما عطست ، قال كل ولد بدوره ، يرحمك الله يا سيدي ، وأضاعوا وقتاً من حصّة الدرس

فيما لا يجدي ، فأمرتهم قائلاً اذا عطست ، فليترك جمعكم الاواح ، وليقل يرحمك الله ياسيدنا ، أجبكم جميعاً برد واحد ، وبعد أيام ، اردنا تطهير الصهرج لنملأه ، فطهر ، ورأيت أن أنزل اليه كهاتي ، لأطمئن على أنه طهر ، فلما جاء الأولاد بالحبيل وأدلوه ، تعلقت به ، وطرفه الآخر في ايديهم ، فما كدت أنزل قليلاً ، إلا وقاجأتي عطاس شديد ، ترك الأولاد الحبيل ، وهويت الى أسفل الصهرج وهم يقولون يرحمك الله ياسيدنا

ضحك الأمير ، وانصرف الشيخ ، وجاء « الاسطى » عمر ، فلما سأله الأمير كما سأل الشيخ ، قال الاسطى عمر ، أذكر يامولاي ، أنني اشتريت منذ عامين كبشاً عجيب القرنين ، اتصل طرفاهما ، فكونا دائرة كبيرة ، ضرب المثل بهذا الكبش ، وأعجيب به كل من رآه ، وفي ذات يوم ، نظرت اليه ملياً ، وفكرت ، أهذه الدائرة تسع رأسي إن ادخلته فيها ، أم لا تسعه ، كبرت الفكرة ، عزمت على التجربة ، وضعت رأسي فدخل ، لكنني حين حاولت اخراجه لم أفلح ، بدأ الكبش يمشي وأنا معه ، ثم جري ، فصرخت ، اجتمع خلق كثير ، وحاولوا اخراج رأسي ، فلم يقدرُوا ، فكان بعضهم يقول : نقطع قرن الكبش ، وبعضهم يأسف على قرن الكبش ، ويرى من الأحسن قطع رأسي ، الى ان اتاح الله لي من وفق لنجاتي ، فاقنتع الأمير بالحكم ضحكت ، وضحك شيطاني قائلاً : ومن يدري ، لعل سيدى هذا غير كاذب ، ما أظنه الا السيد عمر ، شكرت شيطاني السمير . وعاقته مسلماً ، وصحوت بعد نصف الليل

المرأة الجديدة

جاءني البريد بكتابين ، أحدهما بخط تلميذة لي ، من أهلي ، تقول لي في كتابها ، بعد الديباجة :

« لم تفتني ليلة من لياليك ، ليثها كانت عشرين ، فكل ليلة منها خير من ألف شهر ، لكن ابنتك وتلميذتك غضبي على شيطانك ، ولها نصيرات من جنسها ، فقد شفى صدورنا بما أملاه عليك عن أعداء العفاف ، فأثينا عليه ، ووطنناه مفكراً في أمرنا مرة أخرى ، فإذا به لا يريد أن يفكر فينا بعد تلك المرة ، بأنفه ياسيدي تحيارتنا ، وقل له ما رأيك في المرأة الجديدة ، هذا موضوع لا ينبغي إهماله ، وأنا لفي انتظار ليلتك السابعة ، والسلام عليك من ابنتك المخلصة »

طويت الكتاب ، وبدأت بأنجاز اعمالى الرسمية ، ولما عدت الى المنزل ، ودقت الساعة تسعاً ، ذهبت الى مكتبي ، والكتاب في يدي ، فقرأته مرة ثانية ، وطال تفكيري في لثاء شيطاني ، الى ان استولى الكرى على جفني

رأيتني في منزل صديق من سكان حلوان ، بيننا رقعة الشطرنج ، المركز دقيق ، لو ربحت فرسه ، لخسرت فرزي ، وإذا لم ارتض هذه المبادلة ، كان الشر أعظم ، أما من مخرج منك أيها المأزق ، شيطاني ماهر في الشطرنج ، لكنه غائب ، آه لو حضر ، لرأى منازل لي لعب الشياطين ، وينا أفكر ، اقبل شيطاني مسلماً ، وتعامى عن الرقعة فhezها ، وقمت الاحجار ، واختلطت السود بالبيض ، فوقف الحيث

يعتذر ، فطنت لمراده ، وأيقنت أنه عرف موقفى بلمحة واحدة ، ولم يجد وسيلة من وسائل الخلاص ، ففعل ما فعل ، وصاحب الدار فى دهش ، لأنه لم ير لى شبيهاً كشيطنى ، وبدت على وجهه دلائل السؤال ، قلت هذا الذى تقرأ أخباره فى ليالى العشر ، وأنى لأرجو أن تأذن لنا بالانصراف ، فأنى أود أن أخلو بهذا الصاحب الأمين

سلمنا على صاحب الدار وخرجنا ، قال شيطانى : لقد أدركتك فى أخرج المواقف ، قلت شكراً لك أيها العزيز ، والآن ما وجهتنا ، قال بيتك ، قلت انصفت ، عندي ما أود أن أطلعك عليه ، قال الاتدرى أنى كنت بجانبك حين قرأت الكتاب ، أنه لمن خير الكلام ، قل ودل ، ويلوح لى أن تليذك مثلك ، لا تجعل لما تكتب صورتين ، فقد لحت فى الكتاب كلمة محتها بالمداد ، وأثبتت غيرها ، قلت أصبت ، هذه عادتي فى كل ما أكتب ، وإنها خير من اضاءة الوقت فى النسخ ، ولقد أدى بى الاعتياد الى أن لا امحو كلمة ، فى كتاب أخطه لصديق أو عظيم ، وقد كانت هذه أول نصائحى لها

وصلنا الى البيت ، ودخلنا المكتب ، فجلسنا ، قلت ما رأى الصديق فيما سئل عنه ، قال :

كانت المرأة المصرية ، الى عهد المغفور له اسماعيل باشا الحديوي ، مسجونة فى دارها ، عمياء فى طريقها ، من بيت زوجها ، الى منزل ابيها ، تخرج مغطاة بازار تدلى الى قدميها ، يقودها تابع ، يدعى المقدم ، فيركبها حماراً يأخذ هو بزمامه ، فلا ترى ولا ترى ، وكان زوجها لا يسمع منها غير ما حدث فى الدار ، من خبر وطاء وقع فانكسر ، وخادمة مرضت ، واخرى أبليت ، ثم ترقى نساء العظام الى ركوب العربات ،

مسدلة الستائر ، عن يمينها وشمالها فارسان من الحصيان ، وامام العربية ، مظلوم مجري ، عاري القدمين الى الركبتين ، عليه قميص ابيض ، فوقه صدرية منقوشة « بالقصب » ، وعلى رأسه طربوش طويل الزر ، وفي يده هراوة ، يفسح بها الطريق ، وكانت المرأة المتعلمة ، من رضي ذودها ان تحفظ آيات من القرآن ، تخطو في أكثرها ، ولا تفقه معنى لما تحفظ ، هذا يحمل خبرها الى ذلك العصر ، ولكن الأدب كان غريزة في نفوس الناس ، شيوخهم وشبابهم وصبيتهم ، فلا يسمع المرء ولا من افواه السوق ما يتفكه به الآن كثيرون من فاحش القول

وبعد هذا جاء دور البراقع ، من سود وبيض ، فكانت في اول الأمر حجاباً ، لا يبدو منه سوى العينين ، وكان في نساتنا قليلات ممن تعلمن مبادئ القراءة ، اذ أدرك البعض من الرجال ، أن المرأة لا يجب اقصاؤها من الآدمية ذلك الاقصاء ، أما الأدب ، فكاد يكون خاصاً بالشيوخ ، وبالطبقتين العالية والوسطى من الشباب

وفي هذه السنين ، كثر عدد المتعلمات ، بفضل ما أوجد من دور التعليم ، ورأينا يذعن الكتابات ، والمصنفات ، والمدرسات ، فنحن بهذا الرقي سعداء ، لكن ، ماذا يقال في اكثر البراقع ، ألم تركيف اخذت ترقى ، الى ان كاد لا يبقى من الحجاب سوى اسمه ، من مبلغهن عني : ان الحجاب ما ستر لا ما اظهر ، وان الشرع لم يحرم ان يبدو من الحرة وجهها ، ويداها ، وقدمها ، فمن ذا أجاز لمن اغنيهن من نساتنا ، ان يزدن على هذا الحجاب العجيب ، ابداء ما يأمر الشرع والأدب الصحيح بستره ، ياكشفات الاذرع الى الاكتاف ، والصدور الى الثدي ، هذا عيب وحرام

انا لا نريد حجاباً ، ان جاز ان نسمي هذا حجاباً ، انا نتمنى
سفوراً موقراً ، لا يزيد اهل الوقاحة جرأة على جرائهم ، فلتنشأ بيننا
المرأة الجديدة ، حاسرة القناع في ثوب وقور ، نجمله رداءها خارج
دارها ، ان امامها خير النماذج ، هذه زوجة البطل التركي ، الغازي
مصطفى كمال باشا ، لم يبد لنا منها في رسمها سوى وجهها وبديها ، وهذه
السيدة الجليلة ، صاحبة العصمة « هدى شعراوي هانم » ، رئيسة
النهضة النسوية ، وزعيمة الرشيدات من نصيرات المرأة الجديدة ، كلتاها
من يجب الاقتداء بهن

واني لأرجو للمرأة الجديدة مستقبلاً باهراً ، اذا جعلت أساس
تهضمتها الدروس الخلقية ، ولم تتبرج الا بين اللائي من نوعها ، مراعية
في ذلك التوسط والاقتصاد ، وبعد ، ففي هذا الايجاز ما يكفي ،
والسلام عليك يا صديقي ، ان موعدنا قريب ، سلم شيطاني ومضى ، قد
صحوت قبل نصف الليل بقليل

— ٨ —

أعراسنا

رأيتني في رسنتي : مطالا من نافذة مكنتي ، الشمس توشك ان تغرب ،
من هذا المقبل ، ما أظنه الا شيطاني ، لقد دنا ، هو بعينه ، مرحباً ايها
العزير ، اني انتظر قدومك بذهاب الصبر ، قال ، أسرع الى غرفتك ،
فاوند ثيابك وجيء ، اني منتظرك هنا امام الباب ، قلت وما وجهة
السير في هذه الليلة ، قال لولا سؤالك الطويل ، لكننا الآن في
طريقنا ، أسرع ، علنا ندرك القطار

أقفلت باب مكتبي ، جريت الى غرفتي ، رأيت ابنتي ، قالت ماذا حدث يا ابي ، قلت ساعديني على ارتداء ملابسى ، عمك بالباب ، قالت أسيطانك عم لي ، قلت وابنته المحروسة اختك في الرضاع ، ان شاء الله ان تكوني شاعرة ، فانها ستصحبك ، قالت سأكون باذن الله شاعرة بعد سنين قليلة ، وما انتهى الحديث الا وقد تهيأت للخروج ، فقبلت ابنتي شاكرآ ، ولقيت صاحبي

سرنا الى المحطة مسرعين ، كأنتا نعدو ، ركبنا القطار ، فلما جلسنا ، ومحرك القطار ، قال شيطاني : الآن اوضح لك ما ضاق الزمن عن ايضاحه ، انا ذاهبان الى عرس في القاهرة ، قلت : لأجل هذا اسرعنا وجرينا ، كأنتا ذاهبان لاطفاء حريق ، لو عرفت السبب لما رافقتك ، الا تعلم اني لا احب الأعراس ، وأن مثلي لا يذهب الى عرس بغير دعوة من اصحابه ، قال : الحمد لمن الهم شيطانك ، فتوقع كل هذا الكلام ، ولم يضع وقته الثمين في الجدال ، يا صاحبي ، اني لا اجهل طباعك ، وما انا بالغافل عما يناسب قدرك ، ليس في الأمر شيء ، سوى درس اجتماعي ، لا بد من مذاكرته مع التطبيق كعادتنا ، والرواية ، يجب ان تشاهد من اولها ، لا تحف ، لن يرانا احد ، وسترى كل شيء . قلت وكيف ذلك ، قال دع الأمور لأوقاتها ، وقل لي الآن ، انذكر حال الأعراس في (فروق) دار الخلافة العظمى ، قلت نعم ، اني اذكر ما كانت عليه في سني الرخاء ، قبل خمس وعشرين سنة ، فاستمع لما اقول

دعيت الى عرس لصديق من كبار الضباط في الجيش البحري ، وهو من ادباء الترك وشعرائهم ، كريم النجار ، كثير المال ، اسمه محمد

توفيق بك (١) ، واطنك الآن ذكرته ، وذكرت كذلك اني بحثت عنك في يوم العرس قما وجدتك ، لذا كان خجلي شديداً ، حين طلب اليّ صديقي ان ارتجل بيتين للتغني بهما فلم استطع ، ولا تسلم عن حنقي عليك في تلك اللحظة ، ساحك الله ، وبعد ، فأوصل الكلام واقول : بلغت دار الصديق توفيق بك ، فوجدته مع والد العروس ، واربعة آخرين من أهله وخلصائه ، دعاهم مثلي ، فكان المدعوون خمسة بي ، ثم أقبل مأذون الشرع الشريف ، وتم عقد الزواج ، على مهر لم يزد على ستين ديناراً ، قبضها والد العروس ، وهو من الوجهاء الاغنياء ، ونصح المأذون للصديق ان يقتدي بوالده المرحوم ، في صلاحه وتقواه ، ودعاه بالتوفيق ، ثم صاحفه وانصرف ، وتبعه بعد قليل والد العروس ، اما نحن فبقينا ، أدخلنا الصديق الحديقة ، فأحطنا بخوان عليه مائدة وطاب ، من طعام وشراب ، وكان بين الحاضرين فتى ، حسن الصوت ، وآخر ، جيد التوقيع على العود ، طرباً ، فأطربا ، وحادثني صاحب الدار ، في امور عدة ، منها أمر زواجه ، قلت له ألا ترى المهر قليلاً ، اتنا في مصر نمهر بأضعافه ، قال هذا خطأ ، ليس المقصود بالزواج ان يكون ثمناً للزوجة ، يبيعها به ذووها ، اتنا في عصر سادت فيه الحكمة ، فان جاز للمرء ان يفاخر ، فانما يكون ذلك بما عمل من صالح ، عم نفعه قومه ، لا بما لا يعطيه زوجه ، ولا بعرض يدعو اليه أهله وصحابه ، لا شأن للناس في شيء من هذا وامثاله ، اتعلم كيف تكون جهاز العروس ، قلت لا ، قال : فرش ابوها غرفة الاستقبال ، وأعدت امها غرفة النوم ، واخواتها محل الطعام ، واقتسم اربابها ما يلزم

(١) توفيق بك من خيرة اصداقي ؛ وليس حديث عرسه خيالاً

من النفقات ، لفرش غرفتين أخريين ، وأنها ستشاركهن في مثل هذه الهدايا ، كلما تزوجت واحدة منهن ، وفي هذا العمل ما فيه من حكمة الاقتصاد ، قلت أجل : شتان بين هذا وما فعل ، فينا أناس يبيعون في سبيل الجهاز والعرس ما يملكون ، وآخرون يقتضون من المال ، مالا طاقة لهم على دفع رباه ، وفينا من يقدمون الهدايا من الجواهر ، يشترونها بضمفي ثمنها العاجل ، وغيرهم هداياهم « شيلان الكشمير » ، تقدم في الليل لوالدة العروس ، وتوزع في النهار على الخدم ، فيعيدوها هؤلاء الى بائعيها بنصف ثمنها ، قال وبيت العرس ، مفتوح الابواب لكل سيدة من الجارات والأهل ، يدخلن مهشات ، فينظرن العروس في ثوب زفافها ، ويلجن كل غرفة ، ثم يخرجن ، ويعقبن غيرهن ، أما ما ترى من قلة المدعويين ، فهذا امر الحكومة ، ليس في طاقتنا عصيانه ، ولا نخر لمن يستطيع ان يدعو الفأ الى وليمة عرسه ، وعند غروب الشمس لا يبقى في الدار من السيدات الا اهل الدار

هكذا قضينا النهار ، في طرب وحديث ، ومضت ساعة على الغروب ، فسلمنا علي صاحب العرس ، وودعنا شاكرين ، ما قولك يا شيطاني العزيز ، قال لله درك ، لم يفتك منظر وحديث لها ربع قرن ، فلم تنس شيئاً ، ولا عتابي على تقصيري ، وصلنا الى القاهرة ، قم معي نستأجر عربة ، فنذهب الى العرس ، « وبضدها تتميز الاشياء »

سارت بنا العربة ، في طرق مختلفة ، الى ان اوقفها صاحبي ، فوقفت ، فنزلنا على رأس طريق واسع ، مشينا فيه امتاراً ، فترى صاحبي في ركن مظلم ، قلت له ما الخبر ، فأخرج من جيبه خيطاً ابيض ، قلت ما هذا ، قال أحط به رأسك ثم اربطه ، فانك ترى ولا

تري، قلت أريد خداعي ، قال سأريك البرهان ، فلما فعلت كما قال ،
بدا لنا احد المارة ، قال شيطاني : قف امامه ، واسأله كم الساعة ،
فوقفت وسألت ، قال الرجل: اين انت ، قلت امامك وضحكت ،
فصرخ الرجل قائلاً ، بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا الطريق فيه
عفريت ، وجرى بسرعة البرق ، زدت ضحكا واطمان قلبي

بلغنا دار العرس ، ماذا اقول ، انوار زاهرة ، واعلام مرفوعة
وبسط موضوعة ، ومقاعد مصفوفة ، واناس يعدون بانثات ، المزمار
البلدي في ناحية ، والموسيقى على جانب ، وفي الوسط مكان للمغنين ،
دخلنا ، وقفنا في زاوية ، فاذا رجل يقول لمن بجانبه : أتعلم ان
صاحب الدار باع خمسين فداناً ، لأجل هذا العرس ، مفاخرأ به
ابن عم له ، تزوج في الشهر الماضي ، غدا لايجد في صحن الدار ، من
كل هذه الزينات ، سوى رمل اصفر ، وجاء ثلاثة يدعون الناس الى
الطعام ، قام عدد وفير ، بينه جماعة من اهل التطفل والفضول ،
عرفناهم ، لأنهم أكلوا ، ثم أكلوا ، ثم أكلوا ، وكان بين الناس من
يصف صاحب الدار بالكرم ، ومن يصفه بالتبذير ، فلما تهيأ العروس
للازفاف ، ودقت الطبول والزمور ، ترك كل مكانه ، واشتد الزحام ،
وضاع النظام ، وعلت اصوات السكارى ، بالشم والسباب ، ثم رفعت
العصى ونزلت على الرؤوس ، فهرب العروس ، واختبأ ذوو الكرامة ،
وكسرت الثريات ، وندب « الفراش » حظه ، وبكى بائع اللب ، قلت
لشيطاني : الحمد لله على السلامة ، اين طريق حلوان ، قال سيأرتني تنتظرنا ،
فبادر الى ركوبها معي ، ركبناها ، واستمرت في جريها ، الى ان
صحوت في الساعة الاولى بعد نصف الليل

ما آتينا

لي قصيدة ضائعة ، بحثت عنها بين اوراق فلم أجدها ، لكنني
عثرت على خير منها ، هي ورقة صغيرة بخط اخي العالي المرحوم ولي
الدين يكن ، فاتني أن اضمها الى مراسلتي به من شعره ونثره ،
كتبها ايام مرضه ، وليس فيها سوى هذه الايات

ما لهذا السقام لازم جسمي حل مني ما بين عظمي وجلدي
كل يوم اذوب شيئاً فشيئاً ولقد ذاب قبل ذلك كبدي
غير مجدي في الموت طب ولكن اتمو تحسبون ذلك مجدي
لثمت الورقة لثماً ، وشتمتها شتماً ، إن بها رأحة ولي الدين ، شقيقي ،
استاذي ، كذلك كنت اقبل جبينه وعينه ، في يوم الفراق ، وساعة
الوداع ، واناديه ، كما ناداني في آخر انفاسه ، يا اخي ، فبكيت وقلت :
يا اخي ، لم اسمع سوى ندائي

« ليس غير الصدى يرد جواباً لي منه في حالة الانشاد
كلما قلت أين غاب فؤادي رد لي منه أين غاب فؤادي »
أعدت قراءة الايات ، ما هي من بدائع ولي الدين ، لكنها
زفرة من زفراته ، حين احست نفسه بأن لا رجاء في الشفاء ، طويت
الورقة ، ضمتها الى اخواتها ، ثم نظرت الى ما حولي من كتب ،
عافت نفسي كل كتاب ، فاسترسلت في تفكيري ، ذكرت ايامنا (بالنبيل) ،
وليانينا في (فروق) ، ألا رعياء لتلك الايام والليالي ، ذهبت ،

فكانت خبراً من الاخبار ، كم للذكري في القلوب الموحجة من لذة اليمية ،
 والم لذيذ ، ايها القلب : هذا نصيبك ، لست المظلوم وحدك بين القلوب
 هكذا ناجيت نفسي الى ان اغفيت ، فرأيت اخي في داره ،
 مطالا من نافذة غرفته ، عليه دلائل العافية ، كمن لم يعرف المرض ،
 قال الى ابن ، قلت ما جئت الا اليك ، قال ادخل ، فدخلت وسلمت ،
 قال : ما قولك يا حمدي في نونية شوقي بك قلت اجاد الهناء ، واحكم
 الرناء ، واحسن العزاء ، قال هذه أرضك ، قلت الحسن لا يعاب ،
 ومن ذا يجادل في الحق ، قال صدقت ، واني لأرى ما تراه ،
 ولكن ، الا يوجد في ادباء مصر من يسأل شوقي عن هجائه طاغية
 فروق (عبد الحميد الثاني) ، وهو من سبح بحمده ايام ملكه ، ثم
 بكاه في ثمانين بيتاً ، اظنك يا حمدي تذكر رائيته ، ولم تنس نظيرتها من
 شعري وقولي — منها

وذكرت سكان الحمى ونسبت سكان القبور
 وبكيت بالدمع الغزير لباعث الدمع الغزير

قلت نعم اني ذاكر ، القصيدتان نشرتا في المقطم ، منذ احدى عشرة
 سنة ، وبين نشر الأولى والثانية يومان ، اما عذر الادباء في السكوت
 عن السؤال ، فأظنه لأنهم ليسوا مثلي ، وانهم نسوا ، الم تركيف
 فهم شوقي حال البلد ، فقال عنه في نونته (كل شيء فيه ينسى بعد
 حين) . هكذا ظن الكل ناسين ما مضى ، حتى انا ، فتناسى ، وهجا
 ممدوحه ، من (كان يدعى بأمر المؤمنين) ، واني لفي حيرة من
 شعراء زماتنا ، ينظم الواحد منهم قصيدة ، فيبعث بها الى كل الجرائد ،
 كأنها من اعلانات « شمالا » و « شيكوريل »

هنا دخل شيطاني ، قال السلام عليكما ، قلنا وعليكم السلام ، قال
الم ينته حديث الشعر والشعراء ، ما لنا وهذا الآن ، قوما معي تنزه ،
قال اخي : اما انا ، فلدي اعمال كثيرة ، اذهبا اتما في رعاية الله

سلمنا وخرجنا ، قال شيطاني : بيتك قريب من هنا ، ولي معك
حديث جديد ، فلما بلغنا البيت وجلسنا ، قلت له قل ما تريد ، قال
لكل مجال مقال ، كان حديث الليلة الماضية دأراً على اعراسنا ،
وليلتنا ، معلومة البداية ، فلننتحدث في مآئنا ، الا ترانا يا صاحبي
مغالين بها ، كبحالنا في اعراسنا ، يموت المرء ، فان كان فقيراً ، جعل
كفنه من ثلاثة ادراج ، وان كان بين الفقير والغني ، فن خمسة او
سبعة ، أي بالوتر ، وان كان غنياً ، فن تسعة أو احد عشر ، من
قماش غالي الثمن ، يأكله التراب ، ولا نفع منه للدفين ، كم من اناس
شروا تلك الادراج بما يغني عائلة معدمة ، ان اقل ما ينفقه عليها اهل
اليسار عشرون ديناراً ، وما حال الجنازة ، يشيعها فريقان ، أحدهما
تسيره عاطفة الحب ، وثانيهما مأجور تدفعه حاجته ، فهو يسير مرغماً
مقهوراً ، جاء به اهل الميت ، لا شيء سوى الفخار ، هذا عدا
الكفارة ، والذبائح ، وكانت المآتم الى عشرين سنة مضت ، تقام
اربعين ليلة متعاقبات ، فاختصرت الى ثلاث ، يليها ليلة في مساء كل
خميس ، الى الاربعين ، ثم نقصت الى ليال ثلاث ، ومن الناس من
يكتفون بليلة ، وهؤلاء قليلون ، لا اود يا صاحبي ان آخذك الى مآتم ،
يكفيك ما عاينته في ليلتك ، وانك لتعلم ما ينفق على الطهارة
و (الفراشين) من ثمن طعام كثير الالوان ، الى اجرة ما يأتي به الفراش ،
من سرادق ، ومقاعد ، ومصاييح ، وسائر ما يلزم ، ولا اظنك

تجهل ما ينفق داخل البيت ، ثمناً لقماش اسود ، تغطي به البسط ،
والمقاعد ، وكل مرآة او صورة معلقة ، وما تشتري به أثواب الحداد
للسيدات ، والخادومات ، والسادة ، والخدم ، فما هو الحال في فروق ،
اني لم اصاحبك الى ماتم فيها

قلت : شتان بين ما تقول ، وما ستسمع ، أهل فروق لم تفارقهم
الحكمة ولا في ماتمهم ، لا يتباهون بأكفان الموتى ، ولا يسرفون
في سبيل الجنازة والماتم بعض اسرافنا ، يحمل فقيدهم في نعشه ، فلا
يشيعه الا اقاربه واصحابه ، ولا تخرج سيده من الدار خلف
المشييعين ، ولا نسمع في الدار صراخاً ولا ندباً ، فاذا دفن الفقيد ،
تقدم المشيعون الى ذويه بالعزاء ، لا يحجىء الدار احد فيدعى الى
المائدة ، المقام مقام حزن ، لا فخار فيه ، اما القراءة فتكون في المساجد
وهناك يوزع الطعام على الفقراء ، فيأخذ كل نصيبه الى داره ،
ولا يعرف أهل فروق لبس السواد ، هكذا كان عهدي بها الى سنة
١٩٠٠ م ، قال شيطاني : الارضى الله عنهم ، ووفقنا لان نحذو
حذوهم ، والآن استودعك الله ، ذهب صاحبي وصحوتي في منتصف الليل

جولة في العاصمة

لي صاحب ، له اثنتان من طبائع العمل ، اولاهما ، الاقتصاد ،
ثانيتها ، التبدي في الصيف ، والاختفاء في الشتاء ، لم اتوقع زورته ،
من ذا يخرج في ذلك اليوم المطير ، الا انا وشيطاني ، قالوا لي
جاء فلان ، لم أصدق الاذن الا برؤية العين ، قلت اههلا وسهلا ،

أنت زأري الآن ، قال صدقت ، هذا عجيب ، لكنني مجبر ، أنظره
هذان عددان من المنقطع . في أحدهما يرى البعض ان الشاعر الكبير
شوقي بك ، هجا في نونيته الأخيرة الخليفة « وحيد الدين » وفي
الآخر ، ليلتك التاسعة ، وفيها ان شوقي ، أما قصد الخليفة السابق
« عبد الحميد الثاني » ، فأني الرأيين اقرب الى الحقيقة : قلت :
القائلون بالرأي الأخير كثيرون ، وان لم يكتبوا ، والايات تنطبق
على عبد الحميد أكثر من سواء ، فهو من كان امره في السجن غادياً
رائحاً ، وهو من وصف بأنه (كالغادة في القصر سجين) كذلك كانت
عاقبته الاسقاط من الخلافة ، بأيدي آساد الشرى من جنود الحق ،
ولا اظن ان يتمثل شوقي بعهد وحيد الدين ، وينسى عبد الحميد ،
في سنى جبروته ، وما في بداية ملكه وختمه من العظة لمن يتعظ ،
قال : فكيف فسر شيخ الاسلام السابق مصطفى صبري ابيات شوقي
ذلك التفسير ، قلت سله ولا تسألني ، اما الذين ردوا على الشيخ ،
فأرى انهم لم يقصدوا سوى رد سهامه اليه ، واقسم بالله ، اني لم ار
نقداً جمع بين الباطل والخروج عن الوقار ، كنقد مصطفى صبري ،
لطف الله به ، وغفر له ، واعتقادي ان ملاقاه كفاه ، قال زأري
اصبت ، واني لشاكرك ، انجيتني من حيرتي ، وارتحت فؤادي ،
سأبيت الليلة منشرح الصدر ، غير نادم على خروجي ، ولا آسف
على أجرة العربة ، والآن ، هات قبعتك ، قلت لماذا تريد لها قال الا
تود مصاحبتي ، قلت اما القبة : فقد رأيت بالاختبار ان لا حاجة اليها في
الشتاء ، لا وافي من المطر كالمظلة ، فلا بد من احتمال ثقلها للضرورة ، واما
مصاحبتك ، فهي أمني ، لكنني على موعد اللقاء بشيطني ، فارجو ان تعفو

ودعني زائري ، وآب الى منزله ، قلت نعم الرجل ، وافر المال ،
 حكيم في اتفائه ، لا يبسط يده كل البسط ، ولا يغلبها الى عنقه ، فهو
 لا يبالي بدنانير قد يعطيها لذي الحاجة ، لكنه يأسف على دراهم تذهب
 منه الى غير موضعها ، لله دره ، شتان بينه وبين قوم منا ، ينفقون
 الآلاف بين كل صباح ومساء ، لا في الضروري ، ولا لاجل الكمال ،
 بل فيما يبتغون من طهو ولعب ، وارشحاته للبائس ، يشكو فاقته وانه ،
 الى واحد من أولئك اللاهين ، فلا يرق لشكواه ، ولا يتحدث الامارة
 بالسوء ان يخفف بلواه ، فينفحه بثمر كأس مما يشربه مع رفاقه ،
 او يجود عليه باليسير ، من كثير لا يبخل به على منابع الشر من مصائد
 الجهال ، عجباً ، يقولون يا لها من ازمة ، ويصرخون لقله المال ، ايها
 الصارخون ، انا نعاني ازمة في العقول

دقت الساعة تسماً ، آن اوان اللقاء بالرفيق العزيز ، يانوم ادركني ،
 اضطجعت ، فهجوت ،

رأيتني في مصر الجديدة (هليو پولس) ، في منزل آهل ، من
 منازلها المشادة على احسن طراز ، صاحبه ز . ع . بك ، من اهلي ،
 لا يقل عن شيطاني في ظرفه ، ويكاد يدانيه في دهائه ، كان بجاني ،
 يذكرني بليلة سهرناها الى الصباح في حديث لذيذ ، من قديم وحديث ،
 وينا أصفى اليه ، اذا به قام يمشي الى غرفة اخرى ، قلت ماذا حدث ،
 قال يا خال : التلفون يدق ، وعاد بعد لحظة يقول انه سألني عنك ،
 وهو آت الى هنا ، قلت من هو ، قال البست هذه ليلتك العاشرة ،
 قلت نعم ، فالقادم شيطاني الغالي ، اذا اقبل فسلم عليه باجلال ، وخاطبه
 كما تخاطبني بيا خال

جاء العزيز ، حيانا وحيناه ، قال أني جئت بمنتهى العجلة ، قلت :
ليس في الأمر من عجب ، العجلة من الشيطان ، قال دعنا من المزاح ،
الا تذكر ما كنت فيه ، قبل ان تحيي الى هنا ، قلت اذكر ، قال فهل
بروقت ان تجول معي جولة ، ترى فيها ابن تقبر الأموال ، في زمن
قلّت فيه مواردنا ، وزادت حاجتنا ، لا تخف ، لن ندخل منزلا
للغمار ، هذا شيء عرفناه في اولي الليالي ، اما غيره ، فكثير ، والحمد
لله الذي لا يحمّد على مكروه سواه ، وبعد ، فسيارتني في الانتظار قم
معي ، وليكن هذا الهام ثالثنا ، قال له ز . بك : ارجو اعفائي ياخال ،
انا الليلة متعب ، لا جلد لي على السهر ، فودعناه وخرجنا

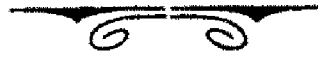
ركبنا السيارة الشيطانية ، جرت بنا في الطريق ، جري القضاء ،
فلما بلغنا القاهرة ، قال أنظر يمينه ويسرة ، ما اكثر الحانات ومن
فيها ، كم من الدنانير يضيع هنا ، في اليوم والليلة ، ثم وقفت السيارة ،
امام باب كبير ، نزلنا ، دخلنا ، فاذا مكان فسيح ، الكراسي لا تعد ،
عليها شبان ، ونساء ، من تلك الجماعة ، وفي الوسط ، مكان خال ،
كدائرة رسمها صبي برجله ، وفي احدى النواحي افراد بأيديهم آلات
الموسيقى الوترية ، قلت لصاحبي : ما هذا المكان ، قال مرقص ،
جلسنا ، وكان بجانبنا اثنان ، قال احدهما للآخر ، ألم تقسم بالأمس
انك لن تحيي الى هنا ، قال نعم ، لكنها اخذت خاتمي الثمين رهينة ،
لا أعود اليها الليلة ، ها هي مقبلة في ثوبها الاصفر ، وصدحت الموسيقى ،
فرأيت شبانا ينتقلون من صف الى صف ، لاختيار من يودون الرقص
معهن ، في تلك الدائرة المتوسطة ، قلت لصاحبي : كفاني ما سمعت
ورأيت ، اريد منظراً غير هذا

خرجنا الى السيارة ، ركبناها ، الى ان وقفت ، امام بناء ساطع
الانوار ، ولجنا بابه ، هذا مسرح كبير ، رجال ونساء ، ينتظرون رفع
الستار ، قال شيطاني : هنا تمثل فصول هزلية ، يراد منها النصيح اثناء
الفكاهة ، اما الحاضرون ، فقد جاء اكثرهم ليسمع نكتة يحفظها ،
أو أنشودة يعيدها في منزله ، ومنهم من هم ان يغازل احدى
الحاضرات ، او الممثلات ، كأنهن دعوة الى ذلك ، وبدأوا يمثلون ،
الكلام بلغة العامة ، أحزنني ان تقتل اشرف اللغات ، بهذا الطعن
المميت ، ونظرت عيوناً تغازل ، وأخرى تجاوب ، قلت لشيطاني :
لا صبر لي على رؤية فصل واحد ، قال الا تنتظر نهاية هذا الفصل ،
ان خروجنا الآن يوجه الينا الانظار ، قلت انهم لفي شغل عنا ،
وعن التمثيل

ركبنا سيارتنا ، قلت الى ابن ، قال الى الجزيرة ، قلت وما شأننا
هناك ، قال ستعلم حين ترى ، فلما بلغنا برزخ (قصر النيل) ، ابصرت
بعربات وسيارات عديدة ، فيها رجال ونساء ، من نوع من ذكرت ،
أناس يغنون ، وآخرون يضحكون ، قلت لرفيقي : ما وجهة هؤلاء ،
قال : (ان الحلالا للعاشقين فسيح) ، واجتزنا البرزخ ، طافين على
اليمين ، فسمعنا من بين الاشجار كلاماً وضحكا ، قلت وابن الشرطة ،
والخفراء ، قال لا تضيقها في وجوه الناس ، وأشار الى ذهبية ، قال
أترى هذه ، قلت ماذا فيها ، قال : الاجمال يكفي ، فيها كل شيء ، قلت
عد بنا الى حلوان ، اني لشاكر فضلك العظيم ، قال واني لأرجو ان
لا يطول افتراقنا بعد الليلة ، ان شاء الله ، وادار السيارة ، فما زالت
تجري الى ان صحت ، في الساعة الثانية بعد نصف الليل

شكر واعتذار

تفضل عليّ بعض الاخوان الاجلاء من ادباء مصر وشعرائها ، بما جادت به قرائهم من خير الكلام ، بين منظوم ومشور ، تقريظاً وثناء ، واني مع شكري فضلهم الكبير ، اعتذر الى حضراتهم عن اثبات تقاريظهم في هذا الكتاب ، انها منقوشة على فؤادي ما عشت ، اما عادة نشر التقاريظ العديدة ، فأراها قديمة ، وائتمنى ان لا تتبع في مطبوعاتنا ، ولقد اكتفيت بتعليق المقطع الاغر المنشور في صدر الكتاب ، فأنا فرح بالقليل ، خجل من الكثير ، جزى الله المتفضلين خيراً
يوسف حمدي يكن



آثار المؤلف لغاية سنة ١٩٢٣

- (دقات على اوتار القلوب) خلقية اجتماعية فكاكية مطبوعة
(المليالي العشر) عظات وحقائق في خيال
(السوانح اليوسفية) تنشر تباعاً في مجلة المرأة المصرية وستطبع
(منكر ونكير) في اخلاق الطوائف، ستشمر في المقطم تباعاً »
(العصر الزائل) رواية عن حال تركيا في عهد عبد الحميد الثاني »
(حديث الدينار) خيالي، في نقائصنا الخلقية، والمالية والتجارية الخ »
(ديوان حمدي يكن) غزل ، رثاء ، هجاء ، هناء ، رسائل »

